جماليات الطباق في ديوان الجوالات من شعر مالك بن المرحل الأندلسي

The aesthetics of counterpoint in the Diwan of Al-Jawalat from the poetry of Malik bin Al-Marhal Al-Andalusi . Counterpoint in the Diwan of Al

ط/د. كريمة شطيبي أ. شعيب زيادجامعة العربي بن مهيدي أم البواقي (الجزائر)

مخبر تعليمية اللغة العربية والنص الأدبي في النظام التعليمي الجزائري الواقع والمأمول

chettibikarima034@gmail.com chouaib.ziad@univ-oeb.dz

تاريخ الإرسال: 2022/01/31	تاريخ التقييم: 2024/02/13	تاريخ القبول: 2023/12/30

الملخص

امتاز الشعر العربي القديم بظاهرة أسلوبية لها القدرة على التأثير في نفس المتلقي، تنشأ عن ضرورة نفسية لشاعر، وكذا جمالية فنية يلمسها القارئ في النص الأدبي، وهي بنية التضاد, والمقصود بها الطباق أو التضاد أو التناقض و غيرها من التسميات التي أطلقها البلاغيون في تعريفاتهم النقدية الحديثة وحتى القديمة منها.

يمثل الطباق درجة التميز و الابتكار, حيث انه يزيد الكلام رونقا وزينة, ونظرا لقيمته في تقوية المعاني و الألفاظ جاءت دراستنا موسومة ب: جماليات الطباق في ديوان الجوالات من شعر مالك بن المرحل الأندلسي, التي نسعى من خلالها إلى تتبع جمالية هذا المحسن المعنوي, وحسن توظيفه في أشعار الديوان.

بداية اشرنا إلى مفهوم الطباق و أنواعه, مرورا بأهميته و دوره في تجسيد الأفكار, وصولا بعده إلى تقصي حالته في ديوان الشاعر.

واستنادا إلى متقدم , اعتمدت دراستنا على المنهج الوصفي التحليلي, متجاوزة رصد حدود الظاهرة إلى استخلاص وظائفها الدلالية و الجمالية, وفق التعرض لبعض النماذج من الديوان التي تجلت فيها هذه الخاصية البديعية شكلا و مضمونا.

الكلمات المفتاحية: جماليات الطباق ; ديوان الجولات ; مالك بن المرحل الأندلسي.

Abstract:

The ancient Arab poetry has the advantage of a stylistic phenomenon that has the potential to influence the same recipient, arising from the psychological necessity of a poet, as well as an artistic aesthetic that the reader touches in the literary text, which is the structure of the contradiction, which means dishes, contradictions, contradictions and other labels made by the authors in their modern and even old monetary definitions.

The dish represents the degree of excellence and innovation, as it increases speech and decorations, and due to its value in strengthening meanings and words our study is tagged with: the aesthetics of the dishes in the mobile office of the poetry of the deported Andalusian owner bin, through which we seek to track the aesthetic of this moral enhancer, and its good employment in the poetry of the diwan.

At the outset we referred to the concept of dishes and types, going through its importance and its role in reflecting ideas, and then to the investigation of his condition in the poet's office.

According to Advanced, our study relied on the analytical descriptive curriculum, going beyond monitoring the limits of the phenomenon to extracting its semantic and aesthetic functions, according to the exposure to some models of the Diwan in which this unique characteristic manifested itself in both form and substance.

Key words : Aesthetics of the dishes ; Mobile phone office ; Malik bin Al-Marhel Al-Andalusi

*المؤلف المراسل.

1.المقدمة :

نقل العرب بالإضافة إلى الإسلام الشعر و الأدب إلى الأندلس , وظل الشعر ملازما لهم ينمو شيئا فشيئا , ويزداد انتشاره, حتى غدا ارفع الفنون وأكثرها حظوة لدى أهل الأندلس, والعرب منذ القدم أمة مفطورة على البلاغة وقد رفع القران الكريم منزلة البلاغة فوق منزلتهم , فتذوقوا الأسلوب ونقدوه, والفطنة بجيده ورديئه, ومن بين علوم البلاغة نخص بالذكر علم البديع, الذي سوف نتطرق في دراستنا إلي نوع من أنواعه.

تعد البنية الضدية من أبرز المكونات الأساسية في بناء النص, والتي تجلب الانتباه أكثر من أية ظاهرة أخرى, فلا يكاد يخلو منها نص أدبي لما لها من فضل وقيمة في الدلالة ألفضية وقوة الإيحاء في التعبير الذي يبرز المعنى و يوضحه.

من خلال قراءتنا لديوان الجوالات شد انتباهنا موضوع البحث عن المعاني و الألفاظ المتضادة و دلالاتها في شعر الديوان.

جاءت هذه الدراسة للوقوف على عدة إشكالات تمثلت فيما يلي:

- كيف تجلت جماليات الطباق في شعر ديوان الجوالات؟ وهل توظيف الطباق جاء متكلفا او عفويا؟
- واندرجت أسئلة فرعية أخرى كالأتي:
- ما هو الطباق؟ وماهي أنواعه؟
- ما أهمية الطباق ؟ وما دوره في النصوص الشعرية؟

الى أي درجة وفق مالك بن المرحل في توظيف الطباق في أشعار ديوانه؟.

ولان موضوع دراستنا يعد بكرا فإننا لا نج د دراسات تتناول الديوان, سوى البعض من اهتم بترجمته و جمعه, وتوجد دراسة سابقة لديوان موسومة ب: أديب العدوتين مالك بن المرحل. وهي دراسة تحليلية في أخباره وآثاره, وتحقيق نصوصه الباقية لدكتور: محمد مسعود جبران,لكنها لم تمس هذا الجانب من دراستنا.

1 . ارتباط علم البديع بعلوم البلاغة في الأدب الأندلسي:

اهتم شعراء الأندلس بفنون البلاغة وحسن القول فعمدوا إلى توظيفها في أشعارهم، ويعتبر علم البديع أحد أهم العلوم التي تقيدوا بها في كتاباتهم ونظمهم للشعر، وذلك لاقتضاء الضرورة في وصفهم لجمال الطبيعة ومدحهم للخلفاء والحكام والتغزل والحنين إلى أوطانهم والعديد من الأغراض الشعرية الأخرى، (بحيث أن الترف الاجتماعي الذي شهدته الأندلس ترك أثارا جلية في موضوعات الشعر الأندلسي وأساليبه، فنجد الشعراء يتبارون في وصف الحدائق العامة ومجالس اللهو والطرب، ووصف القصور والتماثيل والمنتزهات وغيرها). (1)ولأن بيئة الأندلس توفرت على مجموعة من الثنائيات الضدية التي شكلت حياة المجتمع الأندلسي من لهو ومجون قابله زهد وورع وتصوف وبين حروب ومعارك قابلتها مجالس غناء وطرب تشكلت هذه النقائض في أشعار الأندلسي التي طغت وبرزت في العديد من القصائد و ارتبطت البلاغ ة عندهم باللغة العربية عند دخول العرب المسلمين الى الأندلس في سنة 92هـ بدأ بعصر الولاية فالعصور التي تلته كعصر بني أمية وعصر الطوائف وعصر المرابطين وتلاه عصر الدولة الموحدية التي شهدت تغيرات صاحبت العديد من المجالات الثقافية والأدبية والفكرية...الخ، وكان أخر عهد لدول العربية الإسلامية في الأندلس بسقوط غرناطة.

وجاءت كتابات معظم الشعراء غية بـتفاخر وتمادح والفصاحة والقول الصائب خاصة بعد نزول القران الكريم وتوجه الشعراء الفحول نحو التنافس وإبراز معجزة الله في نظمه من خلال قصائد المديح النبوي والزهد، فوظفوا العديد من الأساليب البلاغية في كتاباتهم قصد التميز والإبداع، وتغيرت التسميات في العديد من المظاهر البديعية التي تطرق إليها علماء البلاغة، (وقسموها إلى علوم ثلاثة في القرن السابع الهجري، وكانت مسائلها قبل ذلك من طباق وجناس وتورية و مبالغة،وتقسيم، واستعارة... تلك الفنون كان يطلق عليها جميعا اسم: البديع أو البيان أو الفصاحة، أو البراعة، دون تميز بينهما،وكانت ترد في الشعر القديم وما

وصل إلينا من نثر عفو الخواطر بلا تكلف ولا تصنع، فكان لها أثرها في النفس، وفي إبراز المعنى وإظهار جماله.)(2)

نقول إن علم البديع قديم قدم الشعر العربي، وهو الآخر له مسميات عديدة تجمع فيما بينها إظهار المعنى وجماله والتأثير في النفوس، لأن العرب عرفوا منذ القدم بجزالة اللفظ وفصاحة الكلمة وتأثير المعنى، وفحوى القول لذلك اعتبرت البلاغة عندهم أرقى مرتبة في علوم اللغة وأشرفها، ومن خلال هذا الاهتمام عمد علماء البلاغة إلى تقسيم علم البديع وجعلوا له أبوابا في مؤلفاتهم محددين بذلك تصانيفه وأنواعه وألوانه الكثيرة، فقسموه إلى قسمين: محسنات لفظية ومحسنات معنوية، وتمثل هذه الأخيرة اهتمام موضوع دراستنا من خلال التطرق إلى عنصر الطباق

والمحسنات البديعية لها دور في تحسين اللفظ وكذا المعنى من خلال الترابط الذي تحدثه داخل النص،فكثير من علماء البلاغة يعدون الطباق من أهم المحسنات البد يعية المعنوية، (لأنه علم يبحث في كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال) [(03)]، حتى يتسنى للقارئ الوصول إلى الغاية التي ينشدها الكاتب عموما، ومن بين هذه الجماليات التي يحملها أسلوب الطباق من توضيح لمع اري والأخيلة كذلك جزالة الألفاظ وقوة اللغة ، ومنه نقول إن الطباق أساس جمالي مهم في النصوص المكتوبة أو المقروءة، وهذا التضاد في الكلام يجعله جاذبا للمتلقي القارئ أو السامع من أجل ولوجه لأعماق هذه الكلمات وفهم معانيها.

2- الطباق:

ورد مصطلح الطباق بمعناه اللغوي عند العديد من علماء اللغة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ما جاء في مختار الصحاح: «التطابق الاتفاق بين شيئين جعلها على حذو واحد وأطبقوا على الأمر اتفقوا عليه»[(04)]

نأخذ تعريف لغوي آخر لابن منظور: (ت 711ه): «التطابق الاتفاق»[(05)]

مصطلح الطباق لغويا جاء بمعنى الاتفاق والتشابه بين شيئين، وفي قواميس أخرى كان بمعنى الاتفاق والتطابق على سبيل ما جاء في القاموس المحيط: «... المطابقة، الموافقة، ومشي القيد، ووضع الفرس رجليه موضع يديه...»[(06)]

جاء تعريف الطباق لغويا في العديد من المراجع والقواميس العربية، إذ أن جلها يتفقون على مفهوم التطابق والاتفاق بين المعاني توضيح وربط المفاهيم دلاليا.

أما اصطلاحا: فهو (الجمع بين معنيين متقابلين سواء أكان ذلك التقابل يقابله التضاد الإيجاب أو السلب أو العدم والملكة، والتطابق يكون سواء كان المعنى حقيقي أو مجازي) [07]، لأن الأهمية تكمن في رسم صورة التضاد التي يستنبطها المتلقي من خلال هذه الثنائيات المتناقضة سواء كانت حقيقة أم مجازا فهي كلام موحد يحتوي على صيغة التضاد.

وقد وردت العديد من المسميات عن أسلوب الطباق (كالمطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ كلها أسماء لمسمى واحد، وهو الجمع بين المعنى وضده في لفظتين نثرا كان أم شعرا)[08]، وقد ورد في القرآن الكريم مواضع عدة لأسلوب الطباق نذكر مثال عن ذلك مما يلي:

قال تعالى: ((وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظًا وهمْ رُقُودٌ)) [سورة الكهف، ال آية18][09]

وظف الله عز وجل في هذه الآية الكريمة أسلوب الطباق من خلال الفظتين (إيقاظا ورقود)، أي يتبين لناظر إلى وجوههم (أهل الكهف) أنهم أيقاظ يبصرون بسبب انتفاخ أعينهم وهذا حكمة من الله عز وجل بأن يحمي هذا الانتفاخ قرنية العين لطول فترة نومهم، ولكن في حقيقة الأمر أنهم نيام لا يبصرو ن، ويقول الله تعالى في ذات السياق: ((ونُقَلِبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ وذَاتَ الشِمَالِ)) [الكهف، الآية 18] [10]، حيث نجد الطباق في الفظتين (اليمين والشمال) وهما جهتين متعاكستين في الاتجاه حتى يحمي الله أجسادهم من الهلك والمرض

عنصر الطباق يمنح النص بعدًا جماليًا يؤثر ويحرك ذهن المتلقي من خلال لغة الشاعر وقدرته على صياغة الألفاظ والجمع بين الأشياء المختلفة والمتضادة ونذكر مثال: عن القرب والبعد، الليل والنهار، البياض والسواد...إلخ من الصيغ التي يوردها الشاعر من أجل تشكيل عنصر الطباق أو التضاد.

- يعرفه ابن المعتز (ت 296هـ) في كتابه «البديع»، والذي جعل فيه المطابقة هي الباب الثالث من أبوابه الخمسة، يقول فيه: قال الخليل رحمه الله «يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد، وكذلك قال أبو سعيد: فالقائل لصاحبه: أتيناك لتسلك

بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان، قد طابق بين السعة والضيق في هذا الخطاب»[11]

- من خلال هذا التعريف الاصطلاحي للطباق يتبين لنا عدم المطابقة بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي للطباق، ذلك أن الأول مبني على الموافقة، بينما الثاني مبني على الجمع بين المتضادين
- ويقصد بتناقض الألفاظ المتضادة إيرادها من أجل تبيين المعنى وإيضاحه من جهة، وخلق موسيقى تضفي على النص جمالية وانسجام من جهة أخرى.
- هذا ما لاحظناه في شعر شعراء الدولة الأندلسية من خلال نصوصه وكتاباتهم.

أهمية ودور الطباق:

يعد الطباق من المحسنات المعنوية واللغوية التي تزيد الكلام جرسا إيقاعيا للمستمع من جهة، وتوضح المعاني التي وضعت لأجل سياق دلالي معين في النص الأدبي ،و لبنية التضاد أهمية في فهم النصوص، وذلك من خلال قدرتها على تمثيل وتجسيد الأفكار، وكلما اقترن التضاد بأساليب أخرى، كالتشبيه والاستعارة، والمجاز مثلا، كلما زادت أهميته وسهل فهمه كان نسبة ا ستيعاب معانيه أكثر ، فالطباق لا يعتبر فن تحسين اللفظ فحسب بل يجسد لنا حقيقة نفسية الشاعر ويمنحه القدرة على الموازنة بين المفاهيم ودلالاتها في البنية النصية الواحدة والتي تحتمل الصدق والمجاز وفق ثنائية المزج بين إيحاءات تخيلية وأحاسيس وجدانية لتخرج لنا صورة شعرية مغايرة لما نعتقده أحيانا قانونا لا مجال لتغيير فيه، لصبح بعد ذلك مجال واسع لإدراك هذه المعاني من طرف المتلقي

وللتوضيح أكثر يقول محمد احمد قاسم في كتابه علوم البلاغة: «ليس الطباق بالضرورة ترفا لفظيا فحسب، بل هو تعبير في أكثر الأحيان عن حركة نفسية متوجهة، وصراع بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، وبين الراهن والمتوقع، والمبدع يلجأ إليه لتصوير الهوة القائمة بين واقع مرفوض ومستقبل مأمول، والقصد منه العمل على بناء عالم مخالف كما هو قائم حالم بالأفضل فكثرة المتعارضات تشف غليان داخلي ورفض للأمر الواقع»[12]

- من هنا يكمن معنى أسلوب التضاد من خلال تهيئة عنصر المفاجأة للمتلقي، ومخالفة المألوف والمتعود عليه بشيء جديد والانتقال من معنى إلى آخر مضاد له.

1. أنواع الطباق:

الطباق هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام، وينقسم إلى:

1. «طباق الإيجاب: وهو ما لم يختلف فيه الضِدَّان إيجابا وسلبًا.
2. طباق السلب: وهو ما اختلفت فيه الضِدّان إيجابا وسلبًا»[13]

مثل: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِّينَ لَا يَعْلَمُونَ» [الزمر: 9][14]

3. «وثمة نوع من الطباق هو الخفيّ الذي نُسمّيه "الاستضداد"، وهو ما نعرفه بقولنا: الاستضْدَادُ أن تُستعمل الكلمةُ بمعنى ضدّها، وهو على صيغة استفعل التي تأتي للتحويل؛ مثل: استنوق الجمل: أي أن تتحوَّلَ الكلمة إلى معنى ضدّها، ونشير إلى أنّ ذلك مُستعمل في القرآن الكريم، ومن أمثلته:

- (وراء بمعنى أمام): {وكان وراءَهُمْ مَلَكٌ يَأْخُذُ كُلَ سَفِينَةٍ غَصْبًا} [الكهف 79].

و{وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا} [الإنسان 27].

و{مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنمُ} [الجاثية 10].

- (الظنّ بمعنى اليقين): {فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا} [الكهف 53].

و{وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ} [التوبة 118][15]

- هناك أنواع أخرى من الطباق: كالطباق الحقيقي والطباق المجازي، والطباق المعنوي، وقد أخذنا أمثلة تطبيقية عن ذلك في الجانب التطبيقي من الدراسة.
- «تكمن جمالية الطباق فيما يسمّى (أقف التوقع) أو الإرصاد أي إدراك الذهن حضور المعنى المقابل الآخر حيث يحضُرُ الأوّل، لأن المتقابلات أقرب تخاطرًا إلى الأذهان من المتشابهات و المتخالفات»[16]
- الطباق بأنواعه المختلفة يحمل مشاعر الشاعر في شكل ألفاظ متضادة في المعنى ومتفقة في حمل هذه المشاعر وإخراجها عن المألوف والعادة.

نبذة عن الشاعر مَالك بن المرحّل الأندلسي وديوانه" الجوالات":

بحديثنا عن الأدب في العصر الأندلسي الذي شهد ثورة في الحياة الفكرية والأدبية لأنه كان يمثل أهم مظاهر الحياة العقلية العربية في بيئة الأندلس، وتميز الشعر في هذا العصر بالجودة وحاكوا على منواله في العصور الأدبية التي تلته، شدنا لذلك ديوان الجوالات من شعر مالك بن المرحّل الأندلسي الذي ينسب الى الأدب المغربي في العهد المريني من القرن السابع هجري، ولشاعر ثقافة واسعة في علوم اللغة والأدب بالإضافة الى حفظه للقرآن الكريم وهذا ما زاده تبصرا ومقدرة بأسرار العربية وفنونها، و تعاطى الشاعر صناعة الشعر حتى حذقها وصار شاعر المغرب الأول في عصره من خلال شهرته و إبداعه المتميز .

ويعتبر ديوان الجوالات من المخطوطات القديمة، وهو (نص شعري مهم من النصوص الأدبية الأندلسية والمغربية الجديدة، التي كانت قبل اليوم من الأصول والآثار الغائبة، و الخرائد السارية في مجاهل التيه) [17]، ومن بين أعمال الشاعر مالك بن المرحل الأدبية نذكر ما يلي:

(أرجوزة في العروض- التبيين والتبصير في نظم كتاب التيسير- سلك المنخل لمالك بن المرحل- وشرح أرجوزة العروض- كذلك ديوان بعنوان الصدور والمطالع- ومن كتبه أيضا: اللؤلؤ والمرجان- ولوائح الإنابة وروائح القبول والإجابة- و المعشرات الزهدية- و المعشرات اللزومية في مدح محمد رسول الله المصطفى من البرية) [18]، وهناك أعمال أدبية أخرى قد فصل فيها الدكتور محمد مسعود جبران في كتابه (أديب العدوتين).

فيما يلي جانب من ال نماذج التطبيقية حول جماليات الطباق في شعر ديوان الجوالات لشاعر مالك بن المرحلّ الأندلسي.

5 نماذج تطبيقية:

1. وَأَنْت زمانُ الصّب وَجْهَك صبحه **وَصَدْغُك أَن أَعْرَضْت عَنْهُ مساءه.ـ[الطويل] [19]

الطباق الإيجاب هنا بين (صبحه، مساءه)، فالشاعر هنا يشبه زمان العاشق المشوق بوجه حبيبه صبحًا حينما يكون الفرد مشرقا متشبعا بالطاقة والحيوية فتتغير ملامح وجهه بملامح الصبح في إشراقه وبهائه ، فهو يستعمل هذين الكلمتين المتناقضتين في المعنى حتى يبرز

مدى تأثير إعراض الحبيبة عنه وتجاهلها بظلمة المساء والسواد الذي يرسم السماء فتختفي تلك الإشراقة اختلاف مشاعره باختلاف الصبح والمساء الذي وضح المعنى.

1. لمنْ يَشْتَكِي إلا إليكَ بِمَا جَنَى ⁂هَوَاكَ فَفِيهِ دَاؤهُ ودَواؤهُ ـ[الطويل] [20].

نجد الطباق الإيجاب في هذا البيت بين (داؤه، ودواؤه)، بحيث أن الشاعر مالك بن المرحَّل هنا يظهر حالتهُ النفسية المليئة بالحزنِ، فهو يشتكي بوحَ همومهِ لهذهِ الحبيبة التي يعتبرهَا سببَ الداءِ والدواءِ في الوقتِ نفسهِ، فهو طَابقَ بينَ الداء الذي عبرَ به عن مشاعر هـ مومه وحزنه من بعد الحبيبة، وبين الدواء الذي هو مشاعر الحب التي تزيده قوة، لأجل إيضاح المعنى، وإظهاره وتقويته عن طريق المقارنة بين الضدين في هذين الاسمين المرتبطين ببعضهما.

2. وقلْ مَا شِئْتَ مِنْ حقَّ وزورٍ ⁂ فإني لاَ أحبُ بغير لاءِ[الوافر]. [21]

فالطباق هنا بين (حق، وزور)، فالشاعر هنا يبرز ثقته بنفسه واستغنائه عن كل ما يعكر سير حياته وأعماله، وأنه لا يأبه ولا يبالي بما يقال له سواء كان حق أو زورا، فزاد هذا الطباق الإيجاب من إيضاح للمعنى وتقويته، وذلك لأن الحق يبطل الزور.

3. فلاَ جَدَلٌ إلاَ ومنهُ ابتداؤهُ ⁂ ولاَ أملٌ إلا إليه انتهاؤه. [الطويل][22]

طابق الشاعر في هذا البيت بي ن (ابتداؤه وانتهاؤه)، فالشاعر يوضح المعنى أكثر باستخدامه لهذا الطباق الإيجاب ويبيِن حقيقة الحب ومشاعره، وأن لكل بداية فرحة وسرور تغمر هذه العلاقة التي ملئها المشاعر والأحاسيس الصادقة، لكن بالمقابل إن طال غياب هذه المشاعر من بعد وفراق فلابد لهذه العلاقة من الانتهاء والزوال، إذن الشاعر يصور لنا هذه المعادلة في أبهى صور البديع مقربًا لنا مفهوم مشاعره وحزنه لبعد حبيبته عنه.

5 قد أودع السحر في أجفانه كحلًا ⁂وأطلع الحسن من أسنانه شنبا[البسيط][23]

نجد الطباق الحقيقي في هذا البيت الشعري بين (كحلًا وشنبا)، إذ أن الشاعر يتغزل بمعشوقته ويصف سحر سواد جنونها وبياض لون أسنانها، فهو يصور لنا جمالها في قالب معنوي حقيقي بين السواد والبياض، والغرض من الطباق هنا تأكيد المعنى وتقويته.

6 - هو الحبُّ يحيي تارةً ويميتُ ⁂ نعمتُ به فيما خلا وشقيتُ.[الطويل] [24]

نجد الطباق المجازي بين الفعلين المتضادين (يحيي، ويميت) فاللفظتين يحيي ويميت تعبير مجازي وفق ثنائية جسدت مشاعر الحب والهوى، حيث أراد الشاعر توظيفها ليبين مدى انعكاس هذه المشاعر والفرحة التي تدخلها إلى قلب العاشق فتحيه، وكيف لها أن تميته بسبب البعد أو الفراق، فهذا التعبير المجازي زاد المعنى وضوحًا وحسناء، كذلك نجد الطباق الإيجاب بين (نعمتُ، وشقيت) في عجز البيت، هذين الفعلين المتضادين وضحا وقربا معنى مشاعر الشاعر اتجاه معشوقته، وكيف كانت أيامه تجمع بين المتعة والشقاء، وهذا حال العاشق وتقلب أحواله.

8يا منكرينَ عليّ لستُ بمنكر**سيحوا بذلك في البلاد وصيحوا. [الكامل][25]

-يظهر الطباق السلب في كلمة "يا منكرين" ونفيها "لستُ بمنكر"، فالشاعر هنا يُنادي منكريه بأنه ليس بمنكر ويطلب منهم السير والضرب في الأرض والسياح، بما يدعونه عليه من افتراء، وأنه غير آبه لذلك، فجاء هذا الاختلاف في الإيجاب والسلب كضدين أثارا الانتباه إلى فكرة وإيقاظ الشعور للموازنة بين الشيء وضده، وفي ذلك توكيد للمعنى زاد الأسلوب جمالًا ووضوحًا.

9- قلما يستريح قلبُ محب ** وهو في الحبّ يغتدي ويروح. [الخفيف][26]

أظهر التضاد في الفعلين (يغتدي ويروح)، ويفسر هذا الطباق الإيجاب في البيت الانفعالات والعواطف الداخلية التي يعاني منها الشاعر، فهو يشبه قلب الإنسان بكائن يحسُ ويشعر، ومادام هذا الحب يأتي ويذهب فلن يستريح قلب هذا العاشق.

10- وفي ذات السياق يقول الشاعر :

ولقد أضمرت هواك ضلوع ي**عن عدولي لولا دموعٌ تبوحُ. [الخفيف]

11_طالما استعجم اللسان عليه ... فكفاه السؤال دمعٌ فصيح.[الخفيف] (27)

جاء الطباق في البيت الأول بين اللفظين (أضمرت، تبوحُ)، بحيث أن هذا التضاد الإيجابي ولد توضيح للمعنى وانسجام في التعبير استخدمه الشاعر ليبين مرة أخرى أنه بالرغم

من إخفاءه وتستره لمشاعر حبه، فإن دموعه لم يستطع إن يتحكم في إخفاءها، وهذه الدموع رمز باح وكشف هذه المشاعر المخفية.

- أما البيت الثاني نلاحظ طباقا إيجابيا بين اللفتين (استعجم)؛ والتي تعني عجز من الإبانة، وبين "فصيح"، وجاء البيت في سياق معنى البيت الذي قبله ليؤكد معناه يبرز مرة أخرى حقيقة مشاعره التي عجز أن بينها ولكن في كل مرة تفصح عنها دموعه، وهاتان الكلمتان مع تضادهما في المعنى إلا أن توازنهما من حيث العروض غير تام.
- 12- يقول الشاعر في بيت آخر:

أصبحتُ بين الطاغيين بمنزل **صفر يقومُ بي الغرامُ ويقعدُ.[الكامل] [28]

حدث الطباق الإيجاب في كلمتي "يقوم" و"يقعد" وهما فعلين متضادين زاد من وضوح الصورة التي يجسدها الشاعر من خلال مشاعر الحب التي أصبحت تقوم به وتقعد هذه المقابلة المتضادة جعلت جرسًا أسلوبيا وبديعيًا معنويًا أضفى حسن التمثيل، الذي برع فيه مالك بن المرحل لغويًّا وفكريًا.

14_يقول أيضا في بيت آخر:

دعني ورأيي إن رأيك أفلٌ ** وبرأيه يشقى الفتى أو يسعد .[الكامل][29]

تجسد التضاد المعنوي بين اللفظتين والفعلين (يشقى وسعد)، وجاء هذا التضاد في صورة طباق إيجاب مثل شخصية وحكمة الشاعر واتخاذه القرارات التي يعزم على مصداقيتها وفي المقابل لا يتريث لأقوال وأداء الغير التي يعتبرها غير صحيحة، وهذه الأحكام لها ارتباط بمستقبل الإنسان شقاءه أو سعادته.

16_يقول الشاعر:

يا قلبُ صبرًا للصدود فإنّه ** يكسو الفتى بالصبر عاري عاره .[الكامل] [30]

طابق الشاعر في هذا البيت بين (يكسو، عاري)، وجعل من هذين المتضادين توضيح لمعنى خطابه الذي يوجهه إلى قلبه ويدعوه بالصبر على هجران الأحبة، فالصبر يكسو الفتى من عراءه ويغير أقداره ويبذل أحزانه أفراحًا، كل هذه الهموم تجسدت في قالب بديعي معنوي جعل المتلقي يدرك معنى البعد من الأحبة وكل ما هو ذكرى للوطن الأم.

17_يقول مالك بن المرحل -رحمه الله-:

18_يحيي الشجيّ و يصجن بوصاله ⁂ ويميته ويُعلُّه بنفاره. [الكامل][31]

تجسد الطباق الإيجاب في اللفظين (يُحيي، يميته)، فالتضاد هنا زاد انسجامًا أكثر لما يحمله من خلال ترابط المعاني، فالشخص الشجي المشغول تجده دائما على اتصال وتواصل مع غيره وذلك من خلال إنجازاته وأعماله، عكس الإنسان الوحيد الذي لا تربطه علاقات مع غيره فهو كالميت في وحدته وغربته فالشاعر هنا عادل موازين وصفه وفق هذين المتضادين.

19- يقول الشاعر في بيت آخر:

بهرت محاسنه العقول وإنما ⁂باحَ الزمانُ وكان من أسرار. [الكامل][32]

وظف الشاعر الطباق الإيجاب من خلال اللفظتين (باح، أسراره)، الشاعر هنا يصف ذاته مادحًا من خلال انبهار عقول الغير بمحاسنه، ويجسد التضادين بوح الزمان بأسراره التي كتمها في الماضي، هذه الصيغة زادت انسجاما دلاليًا ومعنويًا.

20_- يقول الشاعر:

مَا بالُ منْ طابَ دابًا لاَ يطيبُ على ⁂إنْ طَابتْ الأرضُ بلَّغَ الطيبَ في الثَمَرِ. [البسيط][33]

تجسد المحسن البديعي المعنوي في هذا البيت الشعري في اللفظين: (طاب، لا يطيب) وهو طباق السلب وظفه الشاعر ليوضح المعنى أكثر في شكل تضاد فعلي زاد من اتساق وانسجام المعنى واللفظ داخل البيت الشعري.

22_يقول الشاعر لذلك:

مَا إنْ تراني في هواهُ مواصلاً ⁂ حتى تراني هَائمًا مهجورًا. [الكامل] [34]

تجسد التضاد المعنوي بين اللفظتين: (مواصلًا، مهجورًا)، وجاء هذا التضاد في صورة الطباق الإيجاب الذي يعكس ويوضح تغيرات الحالة النفسية للشاعر ومعاناته في مشاعر حبه التي يكنها للحبيبة بين وصل تارة وهجران تارة أخرى، فجمع الشاعر هذين المتضادين في اتساق لمعنى البيت الشعري وانسجا.

24_يقول مالك بن المرحل:

فلا باسطٌ شيئا إذا كان قابض ⁂ولا قابض شيئًا إذا كان باسطًا.[الطويل] [35]

وظف الشاعر في هذا البيت نوعين من الطباق وفق ما يلي:

1) طباق الإيجاب في قوله: (باسطٌ، قابض)، إذ عبر الشاعر عن المشاعر التي يكنوها لك من حولك، فالإنسان لا يستطيع تغير مشاعر شخص لا يحبه مادام هذا الأخير ناكرٌ له.

2) طباق السلب في قوله: (قابضًا، ولا قابضٌ)، وجاءت هذه الثنائية لتدعم الاتساق المعنوي الذي أراده الشاعر في حكمة إرداء الغير جميعًا مقابل عناد وسخط من تحبه، فالشاعر يبين بصيغة التضاد أن لا معنى لمحبة الآخرين لك من غير محبة من تعشقه.

25_وليال كانت كمثل سواد العي** نِ نورا وإن بدت أفلاك .[الخفيف] (36)

تجسد الطباق الإيجاب في البيت من خلال: (سواد، نورا)، إذا أن الشاعر وظف هذا التضاد لمعنى معنوي وصفي من خلال تشبيهه لسواد وظلمة الليل بسواد لون العين، على الرغم من وجود نور الأفلاك والنجوم التي تدور في هذه السماء، فجاء التضاد كمحسن بديعي معنوي زاد البيت اتساقا وانسجاما جماليا في اللفظ والمعنى.

27_في حيث آخر يقول الشاعر:

ونسيمُ الصبا يصبُ ويعصي ** فيوالي السكون ثم الحراكا .[الخفيف] [37]

تجسد التضاد المعنوي في هذا البيت بين: (السكون، والحراكا)، وظفه الشاعر ليجمع بين الأفعال في تأتي في مرحلة الصبا بين الحركة والسكون، بين المرح والحزن بين النسيم الذي يهبُّ تارةً ويعصي تارة أخرى، تقول إن هذا الطباق الإيجاب ساهم في توضح المعنى للقارئ، وكذا انسجام المعنى ككلُ.

29_ويقول كذلك:

فتقرب بالردف إن أدبرت ** وتبعد بالخضر إن تقبل .[المتقارب] [38]

جاء معنى البيت الشعري في سياق تغزل الشاعر بمحبوبته، موظفا التضاد المعنوي بين الفعلين: (فتقرب، وتبعد)، وهذا الطباق الإيجاب ساهم في وضوح مشاعر الحب التي يكنها الشاعر لمعشوقته.

30_يقول مالك بن المرحل -رحمه الله-

وإذا أنصفت في القول فقُل ⁂ ليس فيها خفة ولا ثقل.[الرمل] (39)

تجسد طباق الإيجاب في اللفظتين: (خفة وثقل)، وجاء هذا التضاد ليعبر به الشاعر عن حقيقة ومصداقية قول الحقيقة مهما كانت عواقبها، فالإنصاف في القول حسب رأيه أهم من طبيعة الحقيقة التي يدلي بها.

31_يقول في بيت آخر:

يصدقُ سمعًا للملامة عارضًا ⁂ ويكذبُ لمحا في الملاحة لازمًا [الطويل] (40).

ظهر التضاد في الفعلين: (يصدقُ ويكذب)، نوعه طباق الإيجاب، وظفه الشاعر ليبين حقيقة الإنسان الناكر للجميل، والذي يصدق ما يسمعه من لوم في الوقت الذي يكذب فيه ما يرى من مواقف إيجابية، فهذا الإنسان على حسب رأي الشاعر ناكر للجميل الذي يُقَدَمُ له من غيره.

32_يقول كذلك:

ولا مثل ذاك الحسن للحب بانيا⁂ ولا مثل ذلك السحر للصبر هادما.[الطويل] (41)

حدث الطباق الإيجاب في كلمتين: (بانيا، هادمًا)، وهما فعلين متضادين زادا من رسم صورة معاناة الشاعر سبب ما ينتابه من مشاعر الهوى والحب، فزاد التضاد نوع من الانسجام المعنوي والدلالي داخل البيت الشعري.

33_في بيت آخر يقول الشاعر:

يا من بكتْ للبعد ثم تبسمتْ ⁂ للقرب عن درّين لاحَا فيهما.[الكامل] (42)

تحسد الطباق الإيجاب في هذا البث من خلال الفعلين: (بكت وتبسمت) وكذلك للفظين: (البعد والقرب)، وجاء هذا التضاد المعنوي في شكل ترابط وانسجام وترتيب في معنى البيت ككل، فالشاعر يخاطب هذه الفتاة التي بكت من بعد الفراق، بعدها تليها فرحتها وتبسمها من قرب الأحبة، تقول أن الشاعر أجاد توظيف هذا الطباق.

34_يقول مالك بن المرحل -رحمه الله-

يا من كتمتُ هواه بين جوانحي ⁂ أما كذا فهواك غير مكتمّ .[الكامل] (43)

يظهر الطباق السلب في كلمة، "كتمتُ" ونفسها "غير مكتم"، فالشاعر من خلال هذا التفاد المعنوي يعبر عن كتمانه لمشاعر الحب اتجاه محبوبته، بالمقابل أنه لم يستطع الاستمرار في كتم هذه المشاعر.

35_يقول الشاعر في حيث آخر:

ولبستُ أثواب المسرة والأسى ** وشربت كأس الوصل والهجران.[الكامل] (44)

ظهر التضاد من خلال طباق الإيجاب في اللفظين (الوصل والهجران) وجاء هذا التضاد ليعبر الشاعر من خلاله رحلة حياته التي جمعت بين المسرة والأسى وبين الوصل والهجران، في شكل مقابلة أو معادلة لتفاصيل حياته.

36_في بيت آخر يقول:

ولقيت فيه سعادة "وشقاوة ** والحُبُّ مثل الدهر ذو ألوانِ.[الكامل] (45)

تجسد طباق الإيجاب من خلال اللفظتين: (سعادةً وشقاوةً)، وجاء هذا التضاد في سباق تغزل الشاعر بمعشوقته، فهو يصف طبيعة هذا الحب الذي يحسسه بالسعادة أحيانًا وبشقاوة والحزن أحيانا أخرى، ويشبه الشاعر حبه بتغير الدهر في ألوانه، وهو تعبير مجازي عن حلو الحياة ومرها.

6 خاتمة:

بعد دراستنا لجماليات الطباق في شعر ديوان الجولات لشاعر مالك بن المرحّل الأندلسي الذي يتميز بمتانة وقوة أسلوبه وجزالة ألفاظه وإيجاد معانيه خلصتُ إلى جملة من النتائج جاءت على النحو الآتي:

- وقف مالك بن المرحّل في ديوانه الجولات على استخدام مجموعة من المحسنات البديعية المعنوية: خاصة وبكثرة الطباق الذي تطرقنا إلى دراسته في الجانب التطبيقي من البحث.

- تبرز قيمة الطباق من خلال جمالية التضاد التي تحدث على مستوى الألفاظ داخل بنية النهي، لينشئ قيمته الفنية وسره البلاغي، والمتمثل في قدرته على استنطاق شعور الشاعر، أو عن طريق إبانة التركيب اللغوي للألفاظ المتضادة.
- تجسد التضاد في شعر ديوان مالك بن المرحّل بمختلف أنواعه على مستوى الكلمة والجملة وحتى البيت ككل، والصورة بوجه عام مثلث بنية متكاملة تحمل همّ الشاعر وألمه، وحتى أمالهُ وطموحاتهُ، لكل مشاعره وأحاسيسه مما يتطلب إدخال مستويات التضاد من أجل بناء نسيج لغوي متكامل الفكرة، واضح الرؤية، ولهذا نقول إن الدارس لديوان الشاعر يجد جميع أشكال التضاد.
- وفق مالك بن المرحّل في استخدامه لعنصر الطباق من خلال الجمالية اللفظية والمعنوية التي زادت إيضاحًا وعمقًا في فهم المتلقي.
- أكثر الشاعر من توظيف طباق الإيجاب وهذا يبين لنا مدى جزالة اللفظ عندها وكذلك إلمامه بعلوم اللغة العربية من بلاغة، وحسن الاستخدام لهذه العلوم في نظمه.
- أسهم الطباق في ربط أبيات قصائد الديوان وإعطائها جرسًا ونغمًا موسيقيًا موحدًا.
- صعوبة تجريد جمالية أسلوب الطباق لأشعار الديوان، وذلك لغياب شرح لديوان (في حدود بحثي)، ومن ثم صعوبة تحديد الكثير من المعني في شعره.

– 7 الهوامش:

1_ صلاح جرار, قراءات في الشعر الأندلسي, دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة, ط2: 2009م, ص 43.

2_ بسيوني عبد الفتاح فيود, دراسة تاريخية و فنية لأصول البلاغة ومسائل البديع, مؤسسة المختار للنشر, دار المعالم الثقافية, القاهرة, ط2: 1988م, ص13.

3- يوسف أبو العدوس، مدخل الى البلاغة العربية(علم المعاني- علم البيان- علم البديع)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط2، 2010م، عمان- الأردن، ص53.- ._

4-_ أبو بكر الرازي, مختار الصحاح, دار الهدى , عين مليلة, الجزائر, ط 4, 1991م ص 253 .

5- ابن منظور، لسان العرب، ج10، دار صادر، بيروت- لبنان، ط6، 1997م،ص 209.

6_ الفيروز أبادي, القاموس المحيط, تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة, بيروت, ط 5, 1996م, ص 1166 .

7- حميد آدم ثوبتي، البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار المناهج، ص 314.

8- يوسف أبو العدوس، مدخل الى البلاغة العربية علم المعاني- علم البيان- علم البديع، دار المسيرة للنشر والطباعة، ط2، 2010م،عمان، ص 53.

9- سميح ابو مغلي، علم الأسلوبية والبلاغة، دار البداية ناشرون وموزعون، ط1، 2011م،عمان،ص 151.

10- القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية 19.

12_ محمد احمد قاسم و محي الدين ديب , علوم البلاغة, المؤسسة الحديثة للنشر, طرابلس, دط, ص 69.

11- عبد الله ابن المعتز, كتاب البديع, اعتنى بنشره و تعليق المقدمة و الفهارس, اغناطيوس كراتشفوفسكي, دار المسيرة, بيروت, ط1 , 1982م ص 36 .

13_ سميح أبو مغلي, علم الأسلوبية و البلاغة, دار البداية , ط1, 2011م, ص 152.

14-_ عبد الشكور معلم عبد فأرح, البلاغة المسيرة(البيان و المعاني و البديع), دار العلم للنشر و التوزيع و الترجمة, ط1, 2019م,ص 66.

15_ عامر خليل الحراج, البلاغة التعليمية(علم البديع), شرفات للنشر و الدراسات, ط 1, تركيا, 2021م, ص 31.

16- المرجع نفسه، ص31.

17_ مالك بن المرحل الأندلسي, الجوالات من شعر مالك بن المرحل الاندلسي, تحقيق و دراسة, محمد مسعود جبران, دار المدار الإسلامي, ط1 , 2004م, ص9.

18_ المصدر نفسه, ص 31.

19_ المصدر نفسه, ص 64.

20 _ المصدر نفسه، ص 63.

21- المصدر نفسه، ص66.

22- المصدر نفسه، ص 69.

23- المصدر نفسه، ص 72.

24- المصدر نفسه، ص 74.

25- المصدر نفسه، ص 74-75.

26- المصدر نفسه، ص 77.

27- المصدر نفسه، ص78.

28- المصدر نفسه، ص 90

29- المصدر نفسه، ص 90.

30- المصدر نفسه، ص 90.

31- المصدر نفسه، ص 91.

32- المصدر نفسه، ص 93.

33- المصدر نفسه، ص 103.

34- المصدر نفسه، ص 107.

35- المصدر نفسه، ص 107.

36- المصدر نفسه، ص 115.

37- المصدر نفسه، ص 115.

38- المصدر نفسه، ص 119.

39- المصدر نفسه، ص 119.

40- المصدر نفسه، ص 120.

41- المصدر نفسه، ص 126.

42- المصدر نفسه، ص 132.

43- المصدر نفسه، ص 126.

44- المصدر السابق، ص 132.

45- المصدر نفسه، ص132.